مصادر دراسة الفترة الوسيطة في السودان

أحمد حسين عبدالرحمن

ملخص: تعد فترة العصور الوسيطة من أهم الفترات التي مرت على تاريخ السودان، وأسهمت بنصيب كبير في التطور الثقافي والحضاري في المنطقة. ومع ما يبدو من شبه قطيعة بين الفترة الوسيطة وما بعدها، إلا أن ثمة مؤشرات تواصل بين الفترتين في النواحي الثقافية والاجتماعية والدينية. وقد تناولت بعض المصادر التاريخية والجغرافية والدراسات الآثارية هذه الفترة محاولةً التعريف ببعض جوانبها. تتناول هذه الورقة بالتفصيل والتحليل تلك المصادر والدراسات.

Abstract: The medieval period is one of the most important periods of the history of the Sudan and which contributed to the cultural development of the area. Despite the presumed discontinuity between the Medieval and Post Medieval Periods, there are indications of the interrelation between the cultural, social and religious domains of these periods. Some historical, geographical and archaeological resources have discussed this period in an attempt to define some of its aspects. This paper details and analyzes these sources and studies.

تمهيد

تمثل الفترة الوسيطة مرحلة مهمة في تاريخ السودان الثقافي والحضاري، إلا أن ما كتب عن هذه الفترة لا يتناسب مع تلك الأهمية، ولا يصور كل جوانب الحياة فيها، بما في ذلك الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية. هذا لا يجعلنا نتجاوز بعض الكتابات الحديثة التي حاولت شرح أوضاع تلك الفترة وتحليل جوانبها التاريخية. لذا، ليس من السهل تحديد مفهوم الفترة الوسيطة في السودان، على الرغم من أننا نجد شبه إجماع بين المؤرخين والدارسين على أنها تمثل فترة قيام وازدهار ومن ثم اضمحلال الممالك المسيحية التي قامت في السودان خلال الفترة من (٥٠٠-١٥٠٠م).

أما الفترة ما بعد الوسيطة، فهي الفترة التي تلت اضمحلال الممالك المسيحية ومن ثم قيام الممالك والسلطنات الإسلامية في السودان، منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وحتى بداية تاريخ السودان الحديث، والذي يبدأ مع قدوم حملة الغزو التركي المصري للسودان في عام ١٨٢١م.

إن مصطلح العصور الوسطى مصطلح غربي مستورد، مثله مثل مصطلح (السلطنة الزرقاء) الذي أطلق على مملكة الفونج السودانية (١٥٠٤- ١٨٢١م) لتوازي السلطنة الحمراء (الإمبراطورية التركية). وقد جاء به الأوربيون الذين أسسوا لهذه الدراسات في المنطقة. ففي أوربا تم التوافق على اعتبار القرن الرابع الميلادي بداية للعصر الوسيط، واعتبار القرن الخامس عشر نهايةً له اعتماداً على أحداث سياسية واجتماعية مهمة حدثت في أوربا بين هذين القرنين، حيث بلغت الصراعات بين الكنيسة والسلطة قمتها آنذاك (عاشور: ١٩٨٦: ٥).

وفي الإطار الداخلي، فإن هذا المفهوم، تاريخياً، ركّز على نوباتيا والمقرة فقط، وهما المملكتان المسيحيتان شمالي السودان خلال الفترة قيد البحث، مع إهمال شبه تام لمملكة علوة، وهي المملكة المسيحية الثالثة التي عاصرت تلك الفترة؛ فالدراسات عن علوة اقتصرت على الحفريات في موقع سوبا عاصمة علوة، رغم أن هناك الكثير من المواقع المسيحية على ضفتي النيل الأزرق، مثل: البنبوناب، وأم تكالي، والعسيلات، ومواقع النيل الأبيض، وغيرها، والتي وجدت فيها العديد من المخلفات الأثرية مثل الفخار وأساسات لمباني مختلفة.

ومن ثمَّ، فإن هذه المواقع ومن خلال مكوناتها المختلفة وتعددها ربما مثّلت مراكز حضرية لمملكة علوة. وعلى الرغم

من هذه الأهمية وهذا الثراء في المخلفات المادية، إلا أنها لم تحظ بدراسات آثارية. إلى جانب الانتشار الكبير لعلوة في كردفان؛ فالمقاطعات التي ذكرت في إطارها الجغرافي لم تجد حظها من الدراسة والتقييم.

كذلك، أثبتت الدراسات الحديثة وجود مملكة ذات كيان مستقل في منطقة الشلال الخامس، لعبت دوراً كبيراً في تغيير مجريات الأحداث، إبان الفترة المسيحية وفترة مملكة الفونج اللاحقة، عرفت بمملكة التكاكي (المعتصم: ٢٠٠٢). وبالتالي، يبدو مفهوم العصر الوسيط غير مناسب، إذ لا يمكن الجزم ببداية وانتهاء الممالك جميعها، وفق قيام دولة الفونج، خاصةً أقاليم مملكة علوة الواسعة، والتي ربما انفصلت عنها وكوّنت إمارات مستقلة على شاكلة مملكة التكاكي، خاصةً في إقليم كردفان.

هذا التقسيم للفترات التاريخية قاد المؤرخين إلى أخطاء عديدة، وذلك للقصور الذي لازم دراساتهم، والتي اشتملت على معلومات تاريخية تظهر الفصل التام لهذه الفترات عن بعضها بعضاً دون وضع اعتبار للاستمرار التاريخي والثقافي لها.

وخير النماذج وجود المبشرين المسيحيين في الفترة الانتقالية، ما بين نهاية مروي وظهور المسيحية، وكذلك وجود المسلمين المبكر في مملكة المقرة. كما تجدر الاشاره إلى أن الممالك المسيحية لم تقم بسبب الديانة المسيحية بل كانت امتداداً لفترة مروي بعد تفكك الامبراطورية، وهي الفتره المعروفة بفترة ما بعد مروي.

كذلك نجد أن الممالك النوبية الثلاث: نوباتيا والمقرة وعلوة، والتي اعتنقت المسيحية بدءاً بنوباتيا في نحو عام ٥٤٣م، كانت امتداداً لفترة ما بعد مروي، وارتبط ظهورها بانتشار المسيحية بها على الرغم من وجود هذه الممالك قبل ذلك (Welsby: 2002: 127). فبعد اضمحلال وتدهور مملكة مروي ظهرت ممالك ومراكز سياسية كبرى في بلاد النوبة، إذ أشارت حفريات إمري وكيروان في بلانا وقسطل إلى وجود مركز سياسي جديد في النوبة السفلى في منطقة لم تكن قاعدة لأي نظام، سواء من جانب مصر في الشمال أم من الكوشيين في الجنوب (Kirwan: 1955: 59-62).

وخلال هذه الفترة اشتهرت الممالك الثلاث التي استقبلت الدعوة المسيحية رسمياً في القرن السادس الميلادي عن طريق مصر، التي كانت قد اعتنقت المسيحية عام ٤١م، وقد أُرسلت بعثة إلى النوبة في عام ٥٤٠م تمثل المذهب اليعقوبي، استطاعت الوصول إلى نوباتيا وتنصير أهلها عام ٥٤٣م، كما نجحت هذه البعثة في تنصير مملكة علوة عام ٥٨٠م، أما المقرة فقد تم تنصيرها على المذهب الملكاني ما بين عامي ٥٦٩ و٥٧٠م (Adams: 1977: 398).

إن التواريخ التي طرحها المؤرخون الكنسيون لدخول المسيحية للممالك الثلاث من المحتمل أن لا تكون هي الأقدم لدخول المسيحية لتلك المناطق؛ فمثلاً، في علوة يعد عام ٥٨٠م هو تاريخ دخول المسيحية للمملكة، لكن لونجينيوس وجد مسيحيين في عاصمة علوة قدموا من اكسوم، وهي الدولة التي حكمت منطقة شمال إثيوبيا وجنوب إريتريا الحالية، وعليه، فإن هذا التاريخ لا يمكن اعتباره تاريخاً ختامياً؛ لأنه من المحتمل وجود مواد صناعية أو مبان مسيحية قد تكون سابقة لهذا التاريخ.

لقد بلغت هذه الممالك أوج ازدهارها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وقد أنتجت ثقافة مادية ضخمة تمثلت في العمارة بأنواعها المختلفة: العمارة الدينية كالكنائس والأديرة، والمدنية كالمنازل والقصور، والعمارة العسكرية والدفاعية كالقلاع والحصون، وعمارة المدافن وبخاصة مدافن القديسين ورجال الدين. إضافةً إلى الفخار والذي يعتبر من أعظم أنواع الفخار في إفريقيا. إضافة إلى الرسوم الجدارية وبعض الصناعات الصغيرة الأخرى.

إن الحدود الجغرافية لهذه الممالك لا يمكن تحديدها بصورة دقيقة، بالرغم من أن الحدود في الشمال تتفق مع المناطق التي ازدهرت فيها المسيحية، حتى منطقة الشلال الأول. أما الحد الجنوبي، فيمتد عميقاً في أواسط السودان حيث تم العثور على كنيسة في منطقة جبل سقدي، كما تم العثور على بعض الفخار المطابق لفخار علوة الذي وجد في العاصمة سوبا، ويمكن أن تشكل منطقة سقدي الامتداد الجنوبي للمملكة (Welsby: 2002: 128). أما على شاطئ النيل في الشمال فإن حدودها لا تمتد أكثر من كيلومترات قليلة على ضفتيه، أما في جهة الغرب فقد وردت العديد

من الإشارات إلى امتداد هذه الممالك في أجزاء واسعة من كردفان ودارفور.

في تلك الأثناء، كانت قبائل البجة تسيطر على مناطق الصحراء الشرقية، وامتدت أوطانهم من جنوب مصر حتى حدود الحبشة في الجنوب (Paul: 1954: 5). وقد ارتبط تاريخ البجة بتاريخ جارتها النوبة، إذ كان انتقال الجماعات العربية وغيرها بين هذه المناطق أمراً مألوفاً في العصور الوسطى (حسن: ١٩٧٥: ٤).

أما الدلائل الأثرية للفترة الإسلامية المبكرة، فقد بيّنت كذلك خطأ هذا التقسيم، والذي كما أسلفنا تم من خلاله ربط الفترة الوسيطة بالمسيحية، بينما ارتبطت الفترة ما بعد الوسيطة بمرحلة نشوء وقيام الممالك والسلطنات الإسلامية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. فهناك دلائل عديدة للإسلام في السودان، منذ فترات مبكرة خلال الفترة الوسيطة نفسها، وقد دل على ذلك الأعمال الأثرية وكتابات الرحالة والجغرافيين الأوائل والذين عاصر بعضهم تلك الفترة، ومن ذلك، الإشارة إلى مسجد عبدالله بن أبي السرح في عام ٦٥١م. كما ذكر المقريزي وجود حي أو رباط للمسلمين في سوبا (المقريزي: ١٩٠٦: ١١٠-١١٣).

كذلك وجدت وثائق تعود للفترة الفاطمية إضافة إلى فخار وزجاج فاطمي في حفريات أبريم وسوبا ودنقلة العجوز عاصمة مملكة المقرة (Welsby & Daniel: 1993: 13). كذلك وجدت شواهد قبور ترجع إلى أوائل القرن التاسع الميلادي في تافا، وعليها تاريخ العام ٨٢٢م، وأخرى في كلابشة تحمل تاريخ ٩٢٩م، كما أكدت وثائق قصر أبريم وجود استيطان عربي في النوبة السفلى منذ القرن التاسع الميلادي (Adams: 1987: 332).

كذلك، قام دي فيلارد بإجراء دراسات في جهة المريس لمعرفة تأثير الجماعات العربية في النوبيين، فعثر في مقابر نوبية في ساكينيا بالنوبة السفلى على كتابات باللغة القبطية، تحمل تاريخاً مزدوجاً من التقويمين القبطي والهجري، وترجع معظمها إلى القرن العاشر الميلادي أي نحو (٩٠٦-٩٠٧م). كذلك ظهرت كتابات أخرى لا تحمل سوى التاريخ الهجري وترجع إلى القرن نفسه (De villard: ١٩٣٨: ١١٩). ولعل استخدام التاريخ الهجري يدل على

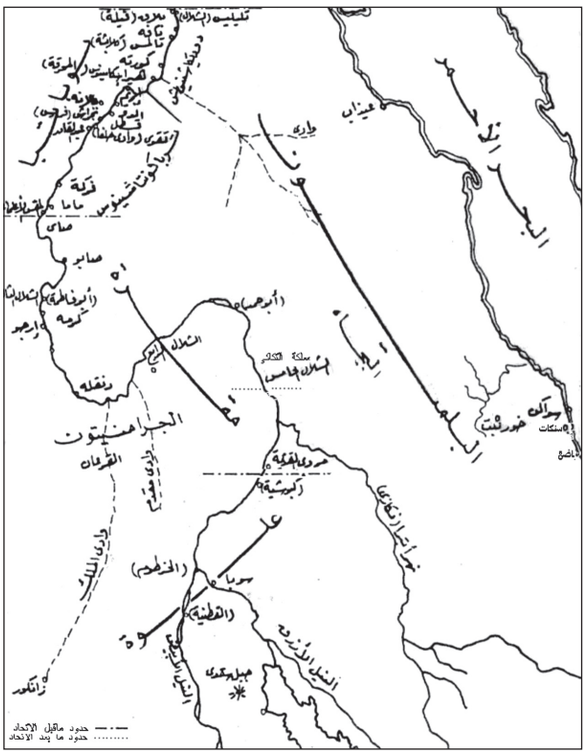

الخريطة ١: ممالك النوبة المسيحية وأهم مدنها

مدى التأثير الإسلامي على النوبيين في تلك الفترة.

أما في شرقي السودان، فقد وجدت شواهد قبور في خور نبت في الصحراء الشرقية، ترجع إلى ٨٧٧م و٩٤٥م. وفي باضع تعود إلى ٩٧٧ و١٠٤٥م (Soghayroun: 2004: 15). كذلك في درهيب في وادي العلاقي وجدت آثار مسجد، كما وجدت مخلفات لمبنيين ربما يعودان للفترة الرومانية في مصر، استخدما بواسطة المسلمين (Castiglioni: 1994: 31). وفي منتصف القرن الثامن الميلادي وفدت جماعات أموية واستقرت في ميناء باضع وجدت دلائلهم في خور نبت غربي سواكن، كما ثبت أثرياً وجود مسجد في سنكات يرجع تاريخه إلى ٨٣١م (الخريطة ١) (Crawford: 1954: 86).

كذلك كانت هناك بعض الدلائل في غربي السودان سابقة لمملكة الفور، حيث وجدت أدلة المساجد القديمة في عين فرح وأرى، والتي أرخت إلى القرن الثالث عشر الميلادي (Soghayroun: op. cit: 16). لقد أكدت هذه الأدلة التواصل التام بين الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة، وذلك من خلال الانتشارالواسع للعرب والمسلمين في الممالك

المسيحية.

لم يكن الغرض من هذا السرد هو التقليل من ذاتية واستقلالها، بعض الحقب التاريخية، بقدر ما هو محاولة لمعرفة الارتباط والتداخل بين الحضارات السودانية، التي كانت ثمرةً للتحولات الثقافية والاجتماعية والدينية التي مثلت مرتكزاً مهماً في التكوين السياسي والاجتماعي في السودان المعاصر، كما أن الأعمال السابقة وبخاصةً في فترة السلطنات الإسلامية اتجهت نحو التوسع في معالجة التاريخ العام في السودان، أو تناول تاريخ تلك الفترات في إطار إقليمي بحت؛ فالارتباط والتداخل بين هذه الفترات يعد عاملاً مهماً ومساعداً لفهمها، والذي لم يكن وليد فترة معينة، بل وضح أن معظم الفترات التاريخية السودانية هي امتداد لما قبلها.

١-١ مصادر دراسة الفترة المسيحية في بلاد النوبة

يتوافر عدد من المصادر المختلفة بأبعادها التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية، إلا أنه يجب أخذها بشيء من الحذر والدقة، فعلى الرغم من أهمية تلك المصادر إلا أنها تحتاج إلى شيء من التقصي والفحص. كما أن بعض الدراسات التي تناولت الفترة الوسيطة ما تزال حتى الآن تعاني من أطرها العامة التي أرساها المؤرخون الأوائل (المعتصم: ٢٠٠٢: ٥). هذه المصادر تشمل مصادر تاريخية وأخرى حديثة، تحوي دراسات آثارية وكتابات علمية، وهناك المصادر المتعارف عليها بالروايات الشعبية. وسنتعرض هنا لتلك المصادر بشيء من التفصيل.

١-١-١ المصادر التاريخية

تشمل هذه المصادر كتابات المؤرخين الكنسيين، والتي احتوت على معلومات أساسية، لها أهميتها، عن كيفية دخول المسيحية إلى بلاد النوبة، وقد شابها بعض القصور نتيجة للتحزب والموالاة لطائفة دون الأخرى، وكذلك أنها كتبت في الفترات الأولى فقط من تنصير بلاد النوبة، كما نجد أن بعضها وصفي وسطحي يعكس عاطفة مسيحية، إلا أنها مفيدة للتعريف ببعض الجوانب في تاريخ الفترة المسيحية. ومن أشهر المؤرخين الكنسيين: جون البكلري، والأفسوسي، ومحبوب المنجبي الذي يعتبر أول مؤرخ كتب عن المسيحية باللغة العربية (الجمل: ١٩٦٧: ٥٧).

هناك كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب، الذين اهتموا بتاريخ النوبة في العصر الوسيط، وذلك منذ بداية الصراع بين النوبة والمسلمين في ٦٤١-٦٥٢م، بعد أن تمت السيطرة على مصر بواسطة العرب والمسلمين، واستمر اهتمامهم ببلاد النوبة حتى سقوط مملكتي المقرة وعلوة وتحول النوبيين إلى الإسلام. كذلك شملت تلك الكتابات الأوضاع السياسية في بلاد النوبة وعلاقتها بالخلافة الإسلامية في مصر، كما جاء في كتابات ابن حوقل (٨٤٧م) والأسواني (٩٩٦م) والمقريزي (١٤٤٢م) وغيرهم. وقد اشتملت على رصد دقيق للصراع بين النوبة والدولة الإسلامية في مصر حتى تحول النوبيين للإسلام وزوال المسيحية. كذلك نجد بعض الكتابات باللغة العربية لكتّاب غير عرب مثل أبي صالح ألأرمني والمخطوطات التي كتب بعضها بالنوبية والقبطية.

بالإضافة إلى وثائق قصر إبريم والأرشيف العثماني في القاهرة، والذي يحوي ١٢٢ وثيقة تتناول قضايا الأرض والزواج والتغيرات التي حدثت في ممالك النوبة إبان انهيارها (Hinds&Hamdi: 1986). ومن الوثائق أيضاً مخطوط مختص بأرض النوبة، يتألف من جزءين الأول منسوب إلى المقريزي وموضوعه البقط وحملات المسلمين الأولى على النوبة، والجزء الآخر مجهول المؤلف يعتقد انه جزء من مخطوط كاتب الشونة (دار الوثائق المركزية الخرطوم، بالرقم Misc/١/١٥/١٩١). كذلك وثائق النسبة لمجموعة الكنوز والتي تتحدث عن انتشارهم واندماجهم مع العناصر الأخرى، مثل وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعي، التي كتبت في عام ٧٣٣ هـ- ١٣٣٢م وتبين النسب والألقاب والزواج وخلافه (باز: ٢٠٠٦: ١٣).

منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي، شكلت كتابات ومشاهدات بعض الرحالة الأوروبيين مصدراً مهماً في العهدين المسيحي والإسلامي، والذين أفردوا حيزاً كبيراً لأخبار النوبة المسيحية منذ فترة مبكرة رغم أن بعضها كان يفتقر للمعلومات الصحيحة، لأنه جاء دون تعمق في أحوال بلاد النوبة، ومنهم الرحالة البرتغالي الفارز، والذي تحدث عن تدهور الأحوال السياسية والدينية في

بلاد النوبة وبخاصةً مملكة علوة (Alvares: 1661). وكذلك الرحالة بونسيه (Poncet) ١٦٩٨م، ولويس ناردين ١٧٤٣ (Louis Nourden)، وبركهاردت (Burckhardt) في الفترة منذ ١٧٩٣ إلى ١٨١٥م، ووادينجتون وهانبري (Hunbury & Waddington) وكايو (Cailliaud) عام ١٨٢٢م، ولبسيوس (Lepsius) عام ١٨٤٤م وبوتشر (Butcher: 1899) والذي كتب عن المسيحية في السودان، وغيرهم.

سجل هؤلاء الرحالة والمؤرخون ملاحظاتهم في مؤلفات ضخمة تطرقت إلى بلاد النوبة، اشتملت على عدد كبير من الرسوم والصور وغيرها. وتتمثل القيمة الحقيقية لهذه الكتابات في لفت الأنظار إلى ما في هذه البلاد من آثار (غيطاس: ١٩٨٧: ١٣). فكانت مدخلاً لدراسات عديدة في الفترات اللاحقة، بحكم أنها تضمنت معلومات مهمة عن النوبة المسيحية.

١-١-٢ الكتب والمقالات

تشمل الكتابات ذات الصلة لبعض المهتمين والمختصين في مجال الدراسات التي تناولت تاريخ وآثار السودان الوسيط بشيءٍ من التفصيل، بينما قدمت أخرى مسوحات عامة لمعظم تاريخ السودان مع إشارة طفيفة للفترة الوسيطة، وتشمل مجموعة من الدراسات والمقالات من بينها كتاب نعوم شقير تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ١٩٠٣م.

وفي عام ١٩٠٧ كتب (Budge) (بدج) كتاباً بعنوان: (The Egyptian Sudan: 1907) السودان المصري (مجلدين) تناول فيه مختلف فترات تاريخ السودان والمباني التذكارية فيه. وآخر بعنوان (Nubian Text: 1909).

كما نجد بعض الزيارات والكتابات تأتي في مقدمتها زيارة جيوفري مايلهام ١٩١٥م (Mileham) في مطلع القرن العشرين، والتي ضمنت في كتابه (Churches in lower Nubia) (الكنائس في النوبة السفلى) ثم سومرز كلارك١٩١٢م (Somers Clark) صاحب كتاب (Christian Antiquities in the Nile valley) (الآثار المسيحية في وادي النيل).

وكتب (Mac Michael) ماكمايكل (A history of The Arab in the Sudan: 1922) (تاريخ العرب في السودان) والذي تركزت كتاباته في دراسة الأنساب لمختلف القبائل العربية، كما أشار كروفووت إلى بعض المواقع المسيحية في النوبة السفلى والعليا معتمداً على عمارة الكنائس والفنون الجدارية (Crowfoot: 1927: 26).

نجد كتابات أخرى في القرن العشرين منها كتاب كروفورد (Castles and Churches in the Middle Nile Region: 1955). ومكي شبيكة (السودان عبر القرون) ١٩٥٥م، إضافة إلى كتابات بيتر شيني (Shinnie) من بينها (Medieval Nubia: (Excavation at Tangasi: 1954a)) (Excavations at Soba: 1955) (The university of Ghana Excavations at Debeira west: 1964) (1954b)، والذي وضع الأسس الأولى لدراسة العصر الوسيط في السودان، إضافة إلى كتابات مصطفى مسعد عن البجة في العصور الوسطى (١٩٥٩) والإسلام والنوبة في العصور الوسطى (١٩٦٠)، وتاريخ السودان حتى ١٨٢١ لـ أنطوني اركل (A history of the Sudan from the earliest times to 1821) ١٩٦١ وكتاب (A modern history of the Sudan: 1963) (تاريخ السودان الحديث) لـ هولت وكتاب (The Arabs and the Sudan: 1967) (العرب والسودان) ليوسف فضل، و(الفونج والأرض) لأبو سليم (١٩٦٧). كما كتب بارويت (Pirouet) عن (Christianity in Nubia: a reassessment: 1971) (المسيحية في النوبة: إعادة تقييم). ثم كتب مسعد لاحقاً كتاب (المكتبة السودانية العربية) (١٩٧٢)، وقد تناول من خلاله مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية في بلاد النوبة، وقدم فيه رصداً دقيقاً لكتابات المؤرخين والجغرافيين العرب عن بلاد النوبة في العصور الوسطى. كذلك كتاب تاديس تمرات (Church and State in Ethiopia (Taddesse Tamrat: 1972) 1527 -1270، وهو يلقي الضوء على الصراعات في إقليم شرقي إفريقيا وهضبة الحبشة وأثره على ممالك النوبة المسلمة وسقوطها، كذلك كتاب الأب فانتيني (Oriental Sources concerning Nubia: 1975). والذي قام بتحليل المصادر الشرقية التي تناولت أحوال بلاد النوبة، وكتابه تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث (١٩٧٨).

كما نجد بعض كتابات الآثاريين السودانيين الذين نشروا عدداً من المقالات والدراسات عن العصور الوسيطة في السودان، مثل مقالات ودراسات على عثمان محمد صالح (١٩٧٨، ١٩٨٢) عن بلاد النوبة في العصر الوسيط، التي تناول فيها الاقتصاد والمجتمع في بلاد النوبة، وقد استخدم فيها الدلالات اللغوية والروايات الشفهية في تفسير بعض الظواهر الثقافية والآثارية، كما كتب (كروباتشيك) عن انهيار الممالك النوبية في نهاية القرن الثالث عشر وبداية نشوء دولة الفونج في مطلع القرن السادس عشر الميلادي (كروباتشيك ١٩٨٢م). كذلك كتاب (Joseph Cuoq) جوزيف كيوك :(Islamisation de La Nubie Chretierme 1989) والذي تناول فيه علاقة بلاد النوبة بحكام مصر في العصر المملوكي. كما نجد (Spaulding) اسبولدنق والذي كتب (the Heroic Age of Sennar: 1985) (عصر البطولة في سنار) وكتاب (ممالك السودان) بالإشتراك مع أوفاهي، (Kingdoms of the Sudan: 1974)، كما كتب مقالات أخرى عن مملكة علوة.

كذلك دراسة محي الدين زروق (Zarroug) التي تناول فيها التاريخ الثقافي لمملكة علوة (The kingdom of Alwa: ١٩٩١)، وكتابات ويلسبي ودانيال عن سوبا (Welsby & Daniel: 1993)، وكتابات انتصار صغيرون عن العصور الوسيطة وما بعد الوسيطة، من خلال دراستها للآثار الإسلامية في السودان والأدلة الأولى لانتشار الإسلام (٢٠٠٤، ٢٠٠٨.). وفي بداية القرن الحادي والعشرين نشر ويلسبي كتابه :(The Medieval Kingdoms of Nubia 2002) (ممالك النوبة في العصر الوسيط)، تناول من خلاله الجوانب الثقافية المختلفة لهذه الممالك. كما نجد دراسة عن مملكة الأبواب وزمن العنج ومملكة التكاكي كتبها أحمد المعتصم (٢٠٠٢).

الأمر الملاحظ في المصادر التاريخية أن كتابات المؤرخين الكنسيين قد ركزت فقط على الفترات الأولى من المسيحية، إضافة إلى التحزب والموالاة لطائفة دون الأخرى. ولعل الملاحظة المهمة في كل تلك المصادر إهمالها لبعض الموروث الثقافي، مثل: اللغة المحلية، وتفاصيل الحياة اليومية، وخلافه، والتي تعد مصادر مهمة لدراسة التاريخ في ظل محدودية الدراسات المبكرة عن العصر الوسيط.

كما يمكن ذكر وجهتي نظر رئيسيتين عن بعض الكتابات منذ مطلع القرن العشرين، فالأولى يمثلها أولئك الذين قدموا مسوحات عامة لمعظم تاريخ السودان عالجوا فيها الحقبة الوسيطة وما بعد الوسيطة وعلى وجه الخصوص دراسة سلطنة الفونج التي عاصمتها سنار ما بين القرنين ١٦-١٩ الميلاديين، وتشمل مجموعة من الدراسات، من بينها: كتابات نعوم شقير ومكي شبيكة وهولت ويوسف فضل واخرون.

وقد تعامل هؤلاء المؤرخون مع السودان في الفترة الوسيطة إما بحسبانه مركزاً ثقافياً لمصر القبطية، ومنهم بدج الذي تناول تاريخ النوبة بوصفه انعكاساً للأحداث والأوضاع في مصر، وقد كانت كتاباته نتاجاً جانبياً لولائه لمصر وحضارتها. أما المجموعة الأخرى فقد تعاملت مع السودان بوصفه مجرد ساحة للعرب والمسلمين، وإيراد اشارات طفيفة للنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي لممالك الفترة الوسيطة أو اشارات لأنماط السلوك الثقافي المحلي.

ولعل القصور في تلك الأعمال في كيفية قياس مدى ظاهرة الحضارة وجوانبها المختلفة في الفترة الوسيطة؛ وقد ظهر ذلك نتيجةً للطريقة التي تجرى بها البحوث التاريخية.

بينما نجد مجموعة أخرى من المؤرخين تندرج تحت مظلة أخرى، وهي تقرر أن الدراسات التي أُجريت عن الفترة الوسيطة ارتبطت لحدٍ كبير بتاريخ الفونج، وتشمل هذه المجموعة بعض المؤرخين من ذوي التوجه العربي، والذي يظهر من خلال كتاباتهم، مثل: ماكمايكل، والذي تركزت كتاباته في دراسة الأنساب لمختلف القبائل العربية، كما مثّل الأساس لكثير من الدراسات التاريخية في الفترات اللاحقة في هذا الاتجاه، وكتابات مصطفى محمد مسعد، ويوسف فضل، وأبو سليم، وغيرهم، وقد تعامل هؤلاء الكتاب مع تاريخ السودان في الفترة الوسيطة من منظور عربي. ولعل أهم ما يميز هذه الكتابات هو الإعتراف بتأثير المجموعات العربية ودورها في تفكك وانهيار الممالك النوبية وانهيارها، بجانب أسلمة النوبيين.

ولعل من أهم أوجه القصور في كتابات هؤلاء المؤرخين أنهم تناولوا تاريخ علوة في فتراتها الأخيرة. وكان تركيزهم منصباً في أسباب تدهورها وانهيارها باعتبارها مملكة سابقة لمملكة الفونج، من دون الدخول في تفاصيل عن تاريخ هذه المملكة، أو الاستفادة من المعلومات الوصفية التي أوردها بعض من سبقوهم من المؤرخين والجغرافيين العرب.

كما نجد بعض المؤرخين من ذوي التوجه الإفريقي ويأتي في مقدمتهم إسبولدنق، والذي تكمن أهمية أعماله في أنها تناولت فترتي تاريخ سلطنة الفونج والفترة الوسيطة، كذلك أكد على ضرورة تناول البيانات الأثرية، والبيانات الإثنية كمصدر للمعلومات. وقد ساعده منهجه الذي بناه على افتراض الاستمرارية الثقافية في البحث في المرحلة الأخيرة لمملكة علوة. وقامت فرضية إسبولدنق في جوهرها على مفهوم الإستمرارية التاريخية والبيئية واللغوية الأصيلة بين العهود المروية وفترات ظهور وإنتشار مجموعات الهمج والعنج، ومن ثم فترة مملكة فازوغلي وحتى الفترة الفونجية.

هناك بعض الكتابات التاريخية المعاصرة قد شابها بعض القصور المتمثل في التوجهات الدينية، فقد سيطر التوجه الكنسي على كتابات بوتشر ومن بعده بارويت، كما حاول الأب فانتيني (١٩٧٨) مثلاً الربط بين المسيحية التاريخية والحديثة، وهو ينطلق من حماسة للوجود المسيحي في السودان. وقد أوضح أن تاريخ المسيحية في النوبة يعد جزءاً من تاريخ السودان ككل، وذهب إلى أنه يجب دراسة النوبة من منطلق مسيحي؛ لأنها كانت جزء من العالم المسيحي. والأمر نفسه ينطبق على بعض الكتاب السودانيين الذين ظلوا يكتبون من منطلق فكري وإثني محدد على الرغم من أهمية قيامهم بالتفاسير دون الآخرين، وذلك لانهم جزء من الثقافة وأدرى بجوانبها الدقيقة.

من ناحية أخرى، نجد أن هناك ضعفاً وإهمالاً لإستخدام الموروث الشفهي، والذي يمثل مصدراً مهماً يساعد في تفسير ومعرفة الكثير من الحقائق التاريخية من خلال جمع الروايات الشفهية إضافة إلى أهميته في دراسة التاريخ الإنساني ككل. إذ نجد بعض الكتابات غير المنشورة في مجال الفلكلور واستخدام اللغة المحلية ودلالات أسماء الأماكن، مثل كتابات على عثمان عن بعض المواقع في منطقة المحس، وكتابات أحمد المعتصم عن لغة التكاكي وعلاقتها باللغة النوبية واللغات المعاصرة.

فكثيراً ما نجد أن كتابة تاريخ الأمم لا تخلو عادةً من تأثيرات الأيديولوجية السياسية والأطر النظرية التي تؤثر في شخص المؤرخ، ومن ثم، فإن الأحكام المنتجة تمثل وجهة النظر الخاصة بهذه المؤثرات في مجمل الأحداث التاريخية والوقائع التي يتحدث عنها المؤرخ. ونعني بذلك الطريقة الانتقائية في إيراده للأحداث وتعليلاته التي يقدمها والتي تكون – في أغلب الأحيان – وفقاً للأيديولوجية التي ينطلق منها، ما يؤدي إلى اضطراب في سرد الحقائق التاريخية وتصبح المعلومات ذات توجهات محدودة.

١-١-٣ المصادر الآثارية

أما الأعمال الأثرية والتي تتضمن نتائج الحملات الإنقاذية إضافة إلى الاعمال الحقلية المنظمة فقد أجريت العديد من الحفريات الأثرية التي حققت نتائجها إضافة مهمة بتكملة بعض أوجه النقص الذي شاب المصادر السابقة عن المسيحية. وعلى الرغم من أن المسح الأثري لبلاد النوبة بدأ بصورة منظمة مع التعلية الأولى لخزان أسوان في الفترة من ١٩٠٧-١٩١١م والتي كانت بقيادة جورج رايزنر (Reisner)، إلا أن الاهتمام في هذه الفترة تركز في دراسة الفترات القديمة ولم تجد الفترات المسيحية اهتماماً يذكر (Adams: 1977: 271). لكن ظهرت بوادر العمل الأثري في الفترات المسيحية عندما قام المهندس مايلهام برسم الكنائس الموجودة في دبيرة وفرس وسرة ووادي حلفا (Mileham: op. cit: 23-37)، ومن بين الأعمال التي تمت ما قام به جريفيث (Griffith, F. L.) في موقع فرس في الفترة ما بين (١٩٠٩-١٩١٣- ١٩٢٥) والتي مثّلت الأساس لكثير من الاعمال التي تلتها من واقع الكشف عن وجود بعض ملامح المسيحية والفترات السابقة لها في طبقة واحدة. كما تم التعرف على بعض النصوص التي كتبت باللغة النوبية بجانب اللغة القبطية. وعلى الرغم من أن معظمها كتب على الجلود، إلا أن هناك القليل منها الذي وجد مكتوباً على الورق. وقد

قام جريفيث بتحليل هذه اللغات التي يتحدثها سكان وسط السودان، كما احتوت على أولى الملاحظات المتعلقة بالإنتماء اللغوي لمملكة علوة (Griffith: 1913: 5).

كذلك تم في المنطقة جنوبي الشلال الأول خلال المسح الأثري الثاني في الفترة من ١٩٢٩-١٩٣٤م، وهي فترة التعلية الثانية لخزان أسوان بإشراف وولتر أمري وكيروان (Emery and Kirwan: 1938). وتمثلت إيجابيات هذا العمل في الكشف عن ملامح مهمة في حضارة دويلة بلانا، التي ترجع للفترة ما بعد المروية في النوبة السفلي، إضافة إلى ذلك وّفرت تلك الحفريات دليلاً على تسرب المسيحية إلى المنطقة في ذلك الوقت! كما أصبح لهذا العمل دور في وضع التسلسل الموضوعي لتاريخ العهد المسيحي في السودان. كذلك قام مونيرت دي فيلارد بإجراء مسح شامل لمنطقة النوبة ويعد مسحاً أثرياً وأثنوغرافياً في الوقت نفسه، حيث وضع تاريخاً متصلاً لتلك الفترة، (La Nubia Medioevale 1935,1938).

توقف العمل نتيجةً لقيام الحرب العالمية الثانية، واستؤنف في عام ١٩٥٠م بإشراف مصلحة الآثار السودانية، وفي هذه الفترة تم التنقيب في موقعين يعدان من أهم المواقع المسيحية في بلاد النوبة، وهما سوبا عاصمة مملكة علوة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق جنوبي الخرطوم وموقع الغزالي بالقرب من مروي الحديثة، حيث تم التعرف على العديد من المباني الدينية والمدنية (Shinnie and Chittick: 1961: 12).

أما مرحلة الأبحاث المفصلية فقد كانت مع فترة الحملة الثالثة من ١٩٥٩-١٩٦٥م والتي كانت تحت إشراف اليونسكو، وقد مثّلت تحدياً كبيراً للآثاريين، وذلك بمحاولة إنقاذ أكبر عدد من المواقع التي ستغمرها مياه السد، فشاركت فيها بعثات من دول عديدة، حيث عملت البعثات المصرية في أعمال الحفر والتنقيب بواسطة مصلحة الآثار في تافا وكلابشة ووادي السبوع، وبعثة جامعة الإسكندرية في جبل عدا (EL-Amir: 1965: 35-38)، ومن الملاحظ أن المدافن الإسلامية التي تم العثور عليها لم تفحص وقت اكتشافها بسبب منع حفر المقابر الإسلامية، إضافة إلى عدم وجود مختصين في الآثار الإسلامية بين أعضاء البعثة، ما أدى إلى ضياع الكثير منها. كذلك عملت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسري بالقاهرة في المنطقة بين خور دهميت وبيت الوالي (Seele: 1963). كما عملت بعثة معهد تشيكوسلوفاكيا للآثار المصرية بجامعة تشارلز بحفريات في تافا، حيث تم الكشف عن معبد شيّد في العهد الروماني تم تحويله إلى كنيسة في العهد المسيحي. كذلك بعثة جامعتي روما وميلان التي قامت بحفريات في دهميت وكلابشة واخمندي والمحرقة وتاميت وغيرها (باز: المرجع السابق: ١٨). وفي قصر إبريم أجرت الجمعية البريطانية لكشف الآثار المصرية حفريات بقيادة أمري الذي أشرف على الموسم الأول في عام ١٩٦١ تلاه مارتن بلملي. كما قامت بعثة المتحف الوطني الهولندي للآثار بحفريات في قرية عبدالله نرجي عامي ٦٢- ١٩٦٤م ونشرت تقارير قيّمة عن الآثار المسيحية والإسلامية في بلاد النوبة (الخريطة ٢).

ومن أميز النجاحات في هذا الحقل، حفريات مصلحة الآثار السودانية في جزيرة مينارتي في عام ١٩٦٣-١٩٦٤م،

الخريطة ٢: المواقع التي غرقت تحت مياه بحيرة السد العالي

والتي تمت تحت إشراف وليم آدمز، حيث أجريت دراسة للكنائس والمساكن بغرض الحصول على تقويم مبدئي، حيث تم تقسيمها إلى أربع فترات، وهي: المسيحية المبكرة -الوسيطة-الكلاسيكية-المتأخرة (Adams: 1965: 311)، ودراسة أخرى للفخار المسيحي، وبعض فخار ما بعد مروي (Adams: 1986). كذلك حفريات جامعة غانا بقيادة شيني في الفترة من ١٩٦١- ١٩٦٣م، والتي تم الكشف من خلالها عن مدينة دبيرة غرب المسيحية (Shinnie: 1964: 196). كذلك حفريات البعثة البولندية (بعثة المركز البولندي لدراسات آثار البحر المتوسط) في موقع فرس منذ عام ١٩٦١-١٩٦٤م، وقد أسفر نشاطها في موقع فرس عن اكتشاف بعض الكنائس وقصر ملكي. أضافت تلك الاكتشافات معلومات هائلة عن تاريخ فن الرسم الجداري في كنائس النوبة علاوةً علي اكتشاف قائمة أساقفة كاتدرائية فرس وصور لبعض الشخوص من الأسرة المالكة وحكام إقليم مريس، الذين وفروا الدعم لتلك الكاتدرائية، تلتها الحفريات التي أجريت في دنقلة العجوز والتي ما تزال مستمرة حتى الآن.

تعد حفريات هذه البعثة من أهم الحفريات التي أجريت في بلاد النوبة، وذلك لأنها أضافت الكثير إلى معرفتنا عن بلاد النوبة المسيحية خاصةً بعد اكتشاف الأديرة الجديدة وبعض الكنائس بدنقلة العجوز (Jakobielski & Scholz: 2001). ثم انتقلت البعثة إلى دنقلة العجوز عاملةً خارج إطار حملة اليونسكو، قد تمخضت نتائجها عن نجاحات باهرة ولا تزال تعمل بالسودان. وهناك حفريات جامعة روما الإيطالية بقيادة سيرجيو دونادوني (Donadoni) في منطقة سونقي تينو ببطن الحجر وقد كشفت عن كنيسة بها لوحات من العصر المسيحي وبعض المدافن (Donadoni: 1970: 209-218).

وفي الفترة من ١٩٦٦-١٩٦٩ قامت بعثة بقيادة شارلس ميستر(Mayster) بالعمل في مناطق عكمة وسونكي جنوب، وتركزت أعمالها بصورة أساسية على المباني الدينية. كما شرعت بعثة مصلحة الآثار السودانية والوحدة الفرنسية التابعة لها في مشروع الاستكشاف الآثاري إلى الجنوب من الشلال الثاني في عام ١٩٧٠-١٩٧١م، ونجحت في إكمال المسح حتى جزيرة نلواتي جنوبي جزيرة صاي، وقد كانت معظم المواقع المسجلة ترجع للفترة المسيحية (النور: المرجع

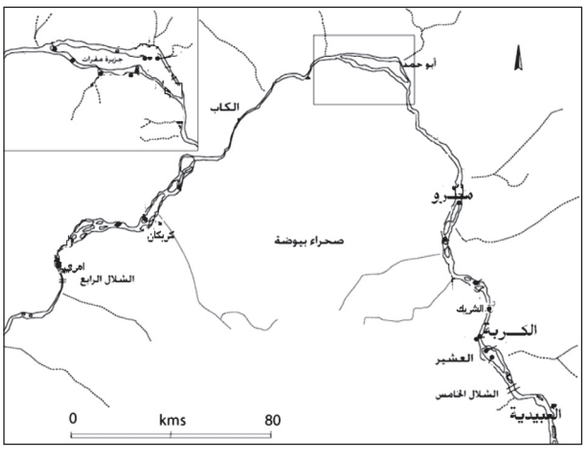

الخريطة ٣: مواقع المسح بمنطقة الشلالين الخامس والرابع

السابق: ١٠٢).

كذلك استؤنف العمل من قبل جامعة الخرطوم التي أقامت مشاريع لتدريب طلاب قسم التاريخ في عام ١٩٧١م، وتم توزيع المنطقة ما بين بربر وأبو حمد لعدد من الطلاب حيث عمل عباس سيد أحمد في جزيرة مقرات والتي تقع بالقرب من أبو حمد وتضم عدداً من المواقع تشمل التحصينات والقلاع وبعض المقابر ترجع إلى فترات مختلفة وبخاصةً فترة المهدية والفترة المسيحية، كما تم التعرف على بعض الرسوم الصخرية تشمل الصلبان والمراكب وبعض الحيوانات كالأبقار والماعز (Sid Ahmed: 1971: 15). كما عمل خضر آدم عيسى في المنطقة ما بين الكربة والشريك وقد عثر على بعض المقابر المسيحية وأخرى ترجع لفترة ما بعد مروي، (Eisa: 1971: 54). بينما عمل يوسف مختار في المنطقة ما بين العبيدية والكربة ورصد عدداً من المواقع المسيحية والمروية، (El Amin: 1971). كذلك قام محمد الحافظ ببعض المسوحات في المنطقة تركزت حول جزيرة مرو (الخريطة ٣). وقد أشار إلى أن القلاع الكبيرة في الإقليم تدل على تطوره وازدهاره (El Hafiz: 1973: 78). وقد أشار هيكوك إلى تلك القلاع المشيدة في المنطقة وأهميتها مثل قلعة العشير وكورتا والتي ربما شيدت لحماية المنطقة من عدو مرتقب (Haycock: 1972: 7).

ورغم كثافة البعثات التي عملت في السودان وبخاصة في آثار الفترة المسيحية، إلا أن أعمالها تركزت في النوبة السفلى، وربما يعود السبب في ذلك إلى قيام حملات

اليونسكو في تلك المنطقة. بينما نجد أن أهم الأعمال الأثرية في النوبة العليا كان بقيادة شيني في سوبا، ثم بعثة مركز دراسات آثار البحر الأبيض المتوسط بالقاهرة (جامعة وارسو) في دنقلة العجوز، حتى قامت بعثة المتحف البريطاني والتي عملت في سوبا لفترة أربعة مواسم منذ عام ١٩٨١م.

كذلك قامت بعثة جامعة روما في عام ١٩٨٨م بمسح أثري في مواقع الإستيطان المسيحي بالقرب من الشلال الرابع اعتماداً على المعلومات التي وردت في تقارير كايو ١٨٢٦م، تم اكتشاف مواقع محصنة تسمى كوبانت، وقد وجدت مجموعة من كسر الفخار وبعض الرسوم المسيحية يعتقد أنها تؤرخ إلى الفترة المسيحية المبكرة (Caneva: 1988: 1-9). وفي عام ١٩٨٩م قامت شركة مونكو الكندية بإعداد الدراسات البيئية للمناطق التي ستتأثر بقيام سد مروي. وتلك التي سوف تتأثر لاحقاً نتيجةً لتكّون البحيرة والتغيرات المناخية (Monenco: 1992).

وفي عام ١٩٨٩م، قامت بعثة استكشافية بقيادة مدير

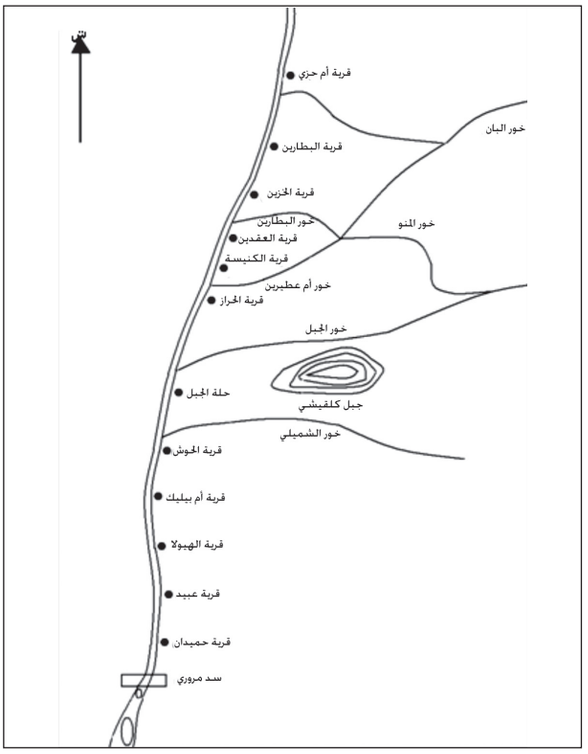

الخريطة ٤: المواقع الأثرية المكتشفة أعلى جسم سد مروي (عباس: ٢٠٠٧: ٤٥).

مصلحة الآثار آنذاك أسامة عبدالرحمن النور ومدير الوحدة الفرنسية جاك رينولد بمسح أثري على ضفة النيل الغربية فوق جزر شيكورة والحامداب وشري ودرتيل (النور: المرجع سابق: ٥٥). وفي أواخر عام ١٩٨٩م قام ممثل اليونسكو لكلانت بزيارة إلى منطقة الشلال الرابع من أجل تبّني اليونسكو نداءً عالمياً لإنقاذ آثار سد الحامداب (Leclant: 1990: 4).

قام فريق من الهيئة القومية للآثار والمتاحف في عام ١٩٩١م بإجراء مسح أثري على الضفة اليمنى للنيل ما بين منطقة «الحامداب» وحتى «أبو حمد»، وتم تسجيل عدد من المواقع الأثرية التي أرّخت إلى جميع الفترات التاريخية وفترات ما قبل التاريخ. وفي ذات العام بدأ قسم الاثار جامعة الخرطوم دراسة التاريخ والاثار واللغة والاستيطان في منطقة المحس في إطار مشروع المسح الاثري والتراثي للمنطقة، كما كُتبت العديد من الرسائل الجامعية داخل هذا المشروع، وقد أكمل المشروع حتى الآن نحو تسعة مواسم، أسفرت نتائجها عن وجود روابط ثقافية وحضارية مهمة بين الممالك النوبية الثلاث، كما أسهمت في التعريف ببعض جوانب العلاقات التجارية والعسكرية بينها، وذلك لأن المنطقة تعتبر حدودية ما بين مملكتي نوباتيا والمقرة المسيحيتين.

كذلك عملت بعثة جامعة كلوز الأسبانية بالقرب من جبل البركل في عام ١٩٩٦م (النور: المرجع السابق: ٥٧). ومنذ عام ١٩٩٦م قامت بعثة متحف قدانسك البولندية بمسح أثري وحفريات في منطقة الشلال الرابع بين مدينتي كريمة وأبو حمد على الضفة الغربية للنيل، حيث تم اكتشاف وتنقيب عدد من المواقع الأثرية تؤرخ إلى الفترة المروية وفترة ما بعد مروي والمسيحية وفترات ما قبل التاريخ (Paner: 1998: 115-132).

قامت بعثة مشتركة بين قسم الآثار جامعة دنقلة والهيئة القومية للآثار والمتاحف خلال الأعوام ٩٥ – ٩٦ – ١٩٩٨م بمسوحات وحفريات أثرية في المنطقة شمالي الموقع المقترح لقيام سد مروي على الضفة الشرقية للنيل، ما بين قريتي الجبل وأم حزي شمالاً، أسفرت عن كشف عدد من المواقع الأثرية التي تؤرخ إلى فترة العصر الحجري الحديث وفترتي

مروي وما بعد مروي والفترة المسيحية (عباس: ٢٠٠٧: ٥٥). كما قامت بعثة جامعة كلفورنيا الأمريكية بقيادة ستيوارت سميث (Smith) بالعمل في موقع تمبس، ثم انتقلت أعمالها إلى الضفة الغربية منذ ١٩٩٧م، وتم إجراء مسح أثري للمنطقة من أكد شمالاً حتى الخندق جنوباً كشفت عن العديد من المواقع المسيحية (Smith: ٢٠٠٢: ١٥٧-١٨٢).

استفادت الهيئة القومية للآثار والمتاحف من جهود بعثة جمعية الآثار السودانية التابعة للمتحف البريطاني والتي قامت بمسح أثري بالضفة الشرقية للنيل بين أمري وكريكان ولا تزال تواصل أعمالها حتى الآن في المنطقة (Welsby: 2003: 26). كما قامت الهيئة القومية للآثار والمتاحف بتنظيم حملة كبيرة لإنقاذ المواقع الأثرية التي تقع على الضفة الشرقية للنيل، تمتد من موقع السد وحتى منطقة دار العرب شمالاً، وقد شارك فيها قسم الآثار بجامعة الخرطوم وقسم الآثار بجامعة دنقلة، حيث نفذ العمل عبر مرحلتين.

بدأت المرحلة الأولى في عام ٢٠٠١-٢٠٠٢م لإنقاذ المواقع الأثرية في منطقة إنشاء السد المهددة بالنشاطات الهندسية، وكانت نتائج هذه الحملة تسجيل واختبار عشرات المواقع الاستيطانية والمدافن التي تمتد منذ فترات ما قبل التاريخ وحتى الفترة المسيحية. أما المرحلة الثانية من العمل فقد تمت في مطلع عام ٢٠٠٥م تم خلالها تنقيب عدد من مدافن فترة ما بعد مروي. (الخريطة ٤). تلى ذلك أعمال الهيئة القومية للآثار والمتاحف بالاشتراك مع جامعة دنقلة و بعثة مؤسسة أولي الأسبانية في العباسية عامي ٢٠٠١،٢٠٠٣م كما عملت في مشروع إنقاذ آثار البركل (عباس: ٢٠٠٧: ٥٦).

وقد استمر تقاطر البعثات الأثرية إلى السودان في مطلع القرن الحادي والعشرين مرةً أخرى، إما مواصلةً لعمل بدأته من قبل، أو استجابةً لنداء إنقاذ آثار الشلال الرابع مثل بعثة كلية لندن الجامعية والتي تعمل في الضفة الشرقية للشلال الرابع (Fuller: 1998: 52-55).

في مطلع عام ٢٠٠٧م قام قسم الآثار جامعة الخرطوم بإجراء مسح أثري وتراثي في المنطقة ما بين الخندق جنوباً حتى ودنميري شمالاً وقد تم التعرف من خلالها

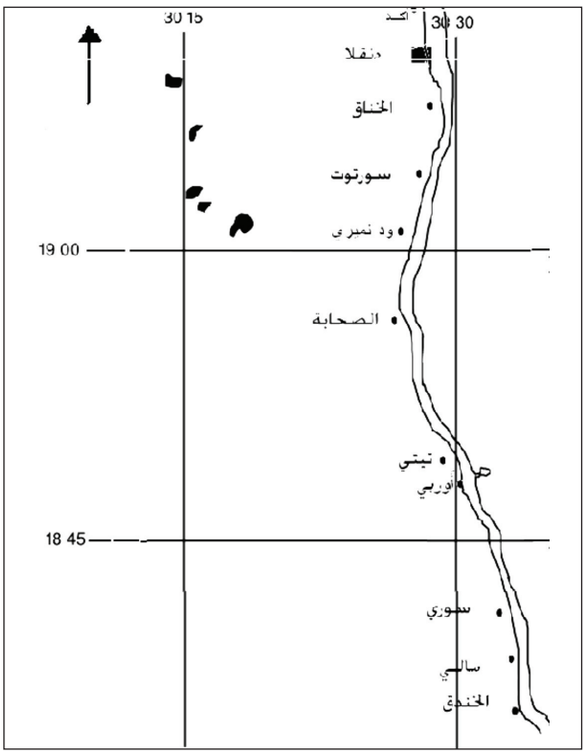

الخريطة ٥: المواقع المكتشفة ما بين الخندق وأكد

على العديد من المواقع المسيحية والإسلامية خاصةً المدافن (Soghayroun: 2008: 75). كما استؤنف العمل الأثري مرة أخرى بمنطقة الشلال الخامس بالضفة اليسرى للنيل منذ عام ٢٠٠١م، حيث تم إجراء مسح شامل من الضيقة حتى فتوار في مشروع مشترك بين قسم الآثار جامعة الخرطوم والهيئة القومية للآثار والمتاحف ومركز أبحاث الآثار بجامعة وادي النيل، حيث تم التعرف على العديد من المواقع المسيحية بالإقليم، ومواصلةً لهذه الأعمال نفذ قسم الآثار جامعة الخرطوم ثلاثة مواسم بمشاركة الباحث في الفترة من فبراير ٢٠٠٦ حتى فبراير ٢٠٠٩م، وقد تم التعرف على العديد من مواقع فترة ما بعد مروي والفترة المسيحية. (الخريطة ٥).

كذلك قام قسم الاثار جامعة الخرطوم بإجراء مسح أثري في منخفض وادي القعب غربي دنقلا في يناير ٢٠٠٨ وديسمبر ٢٠٠٩م تم التعرف على كنيسة وبعض المدافن التلية التي تعود لفترة ما بعد مروي، كما وجدت بعض المدافن المسيحية وكسارة الفخار الذي يعود لمختلف

الفترات المسيحية (Tahir: 2010).

٢ نتائج الدراسات

تمخض عن هذه الدراسات الأثرية العثور على كميات كبيرة من السجلات الأدبية التي أكدت استخدام اللغة النوبية خلال معظم الفترات المسيحية، كما استخدمت اللغتان الإغريقية والقبطية بصورة محدودة، أما اللغة العربية فقد استخدمت في المراسلات مع التجار العرب وسكان النوبة السفلى، كما وجدت بعض المخطوطات والوثائق وشواهد القبور (Adams: 1977: 478). ومع ظهور هذه النتائج العلمية الضخمة فقد ظهرت أهمية قصوى لإعادة تقييم التاريخ النوبي عامة على ضوء الاكتشافات الحديثة فعقدت العديد من المؤتمرات والندوات العلمية وكان أولها ندوة المجمع العلمي المصري في مارس ١٩٦٥م بالقاهرة، كذلك عقدت ندوات في أوروبا في فيلا هيجل بألمانيا في سبتمبر ١٩٦٩م، وقدمت دراسات عن التاريخ والفنون في النوبة المسيحية، وهناك المؤتمر الدولي الثاني عن اللغة والأدب في السودان الذي عقد في السودان برعاية وحدة أبحاث السودان في جامعة الخرطوم عام ١٩٧٠م، وصدرت بعض أوراقه في كتاب بعنوان: (Studies in Ancient Languages of the Sudan) الذي حرره وقدم له عبدالقادر محمود عبدالله.

كما عقدت ندوة في وارسو ببولندا في يونيو ١٩٧٢م، وفي هذه الندوة أسست الجمعية الدولية للدراسات النوبية (غيطاس: المرجع السابق: ٣). كذلك عقدت بعض المؤتمرات بالسودان مثل مؤتمر الحضارة الإفريقية على أعتاب القرن الحادي والعشرين في عام ١٩٩٩م بقسم الآثار جامعة الخرطوم. وقد قدمت العديد من الأوراق في هذه المؤتمرات نوقشت فيها مواضيع تتعلق بتاريخ السودان عامةً. ومنذ تأسيسها ما تزال جمعية الدراسات النوبية تواصل أعمالها من خلال المؤتمرات العلمية التي تقام كل أربعة أعوام آخرها مؤتمر الدراسات النوبية الذي عقد بلندن في أغسطس ٢٠١٠م، والذي قدمت به أوراق تناولت مختلف قضايا التاريخ النوبي. وهذه الدراسات تعد من أهم المصادر لدراسة العصور الوسيطة في السودان وذلك لاشتمالها على النتائج العلمية للدراسات الأثرية عن هذه الفترة.

٣-١ راهن الدراسات ومستقبلها

إن التنقيبات المكثفة التي نفذتها البعثات الأجنبية والسودانية التي انتهت عام ١٩٦٤ في أعقاب حملة إنقاذ آثار النوبة نالت على إثرها النوبة السفلى، ولا سيما مملكة نوباتيا الحظ الأعظم في البحث والتنقيب، ولكنها في نفس الوقت فتحت الباب على مصراعيه أمام البعثات للبحث الأثري للنوبة المسيحية جنوباً. بعض البعثات الممولة من قبل اليونسكو استمرت لتستكمل المسح الآثاري لمنطقة بطن الحجر والتنقيب في بعض المواقع بالتعاون مع مصلحة الآثار السودانية، أما البعثات الأخرى فقد انسحبت وبقى القليل منها لينهض بمهام العمل الميداني إلى الجنوب من الشلال الثاني.

هناك إشكاليات في مستقبل دراسة النوبة المسيحية حيث اختفى جزء كبير من نوباتيا تحت مياه السد باستثناء قصر ابريم، وانحصر البحث الأثري في دراسات ما بعد أعمال التنقيب في النوبة الوسطى والجنوبية، وبعد قيام سد مروي وعلى الرغم من الجهد الذي بذل إلا أن هناك مواقع تأثرت بارتفاع نسبة الرطوبة، بينما أصبحت بعض المواقع مهدداً بقيام سدي كجبار والشريك. الموقعان الأساسيان اللذان لا يزال العمل جارياً فيهما بعد حملة اليونسكو هما قصر إبريم (البعثة البريطانية) ودنقلة العجوز (البعثة البولندية). حيث وفّر البحث في إبريم مجموعة غنية من الوثائق والنصوص القبطية والنوبية، تم نشر جزء منها حتى الآن، وضح أن النصوص ذات أهمية قصوى لفهم صيرورة تشّكل الدولة النوباتية وكذلك تاريخ العصر المسيحي.

أسهمت أعمال التنقيب للبعثة البولندية في دنقلة العجوز بقدر معتبر في فهمنا خاصةً فيما يتعلق بالمعمار الكنسي، وقد جرى مؤخراً العمل في الحي الصناعي في دنقلة العجوز، والذي قد يسهم في معرفة الكثير عن صناعة الفخار المسيحي بالمملكة. كما أن الدراسات الحديثة في موقع همبكول يمكن أن تعطينا فكرة عن طبيعة المدينة ومحيطها المباشر، فوق ذلك فإن المشروع الكندي صمم لإجراء دراسة متعمقة للتطور الثقافي لموقع سكني تراثي

في منطقة تحمل بيّنة دالة على إقامة مروية أقدم، إضافة للصروح المسيحية في المنطقة المحيطة.

يمكن القول إن هنالك اتجاهين واضحين بالنسبة لدراسات النوبة المسيحية في السبعينيات والثمانينيات. الاتجاه الأول ركّز على تطوير المفاهيم التي نتجت عن الأبحاث الأثرية في حملة إنقاذ النوبة، والثاني ركّز على مراجعة الحالة المعرفية الراهنة تأسيساً على تحليل المعلومة في البحث الجديد. وبالنسبة لتاريخ علوة اللاحق فإن أعمال التنقيب الحالية تسمح لنا بإضافة القليل، ووفقاً لإبن سليم الأسواني وما أتى به إبن حوقل يجعلنا نقف على حجم السؤال: إلى أي مدى استطاعت الأعمال الأثرية اللاحقة أن تؤكد صحة ما أتى به هؤلاء المؤرخون وتسهم في إعادة صياغة تاريخ ذلك الجزء الجنوبي النائي من النوبة المسيحية. حيث نجد بعض الاختلافات في نتائج أعمال التنقيب التي أجراها بيتر شيني في سوبا وملاحظات إبن سليم وإبن حوقل. هذه الحقيقة ألقت بظلال شك حول التفسيرات الحالية بشأن فقر سوبا وموثوقية ابن سليم وابن حوقل وغيرهم من الكتاب العرب الذين يشيرون إلى المملكة الواقعة جنوباً بين ممالك النوبة.

كذلك فإن الفترة من نهاية مروي حتى ظهور الممالك المسيحية تتسم بشيء من الضبابية، فالتاريخ السوداني هو سلسلة من التواصل، لكن نجد هنالك غياب ظاهرة الاستمرارية بين فترة ما بعد مروي والنوبة تحت ملوك نوباتيا، المقرة، وعلوة، التي تم التعرف عليها في الماضي عن طريق بيّنة تحولها إلى المسيحية وهذه الدلائل الخاصة بالتحول إلى المسيحية هي التي تؤخذ بوصفها السمة المميزة للسجل الأثري للممالك النوبية والذي من شأنه أن ينتحي لحجب البيّنة الدالة على الممالك فيما قبل وصول المسيحية.

وقد برزت كثير من الإشكالات والمعوقات فيما يتعلق بالفترة الوسيطة يأتي في مقدمتها إشكالية ربط مفهوم الفترة الوسيطة بالممالك المسيحية كما أسلفنا، بجانب عدم الانتباه لمشاكل التواصل بين الفترات السابقة واللاحقة للممالك المسيحية، ما يجعل عناصر الإسلام المبكرة في السودان تقع في الظل. وفي ذات الإطار تبرز مشكلة تاريخ دخول المسيحية ومعرفة الحدود الجغرافية لهذه الممالك.

وبالتالي، فإن من أهم الاستدراكات والمراجعات في الآثار السودانية هو المدى الزمني، فهناك مواقع كبيرة مهمة تحتاج إلى إعادة النظر في الدراسات التي تمت بها، إضافة إلى وجود مساحة فارغة من بداية الدولة المركزية في السودان منذ عام ١٨٢١م، وفي المقابل، كان الاهتمام منصباً على بداية متواضعة لقيام الحضارات السودانية، كذلك فان علم الآثار الجديد المتحرك مع الزمن أصبح أكثر فاعلية، بإضافة أنواع أخرى من العلوم، ففي الماضي كان الاعتماد فقط على المسح والحفرية لإكمال العمل الأثري، أما الآن فقد تم فصل المسح كآلية حديثة كاملة للعمل الميداني والتفسير، فهناك مسح عن طريق نظم المعلومات الجغرافية (GIS) والمسح بواسطة الثيودولايت المتطور(Total Station) وغيرها، لكن في السودان ما تزال بعض هذه الأدوات مفقودة، إضافةً إلى أن أدوات العمل المعملي متأخرة، وهناك قصور في تقنيات الترميم المعماري فهي قاصرة على البعثات الأجنبية فقط. بجانب الضعف الإداري وعدم وضع خطط واضحة لتطور العمل الآثاري وهي مشكلة ما تزال موجودة، كما أن انتقال تبعية إدارة الآثار إلى إدارات ووزارات مختلفة لفترات زمنية وجيزة، أدى إلى تأخر الدراسات في هذا المجال.

هنا تبرز الحاجة إلى تلمس رؤى مستقبلية أكثر ايجابية لتدارك حجم الإخفاقات والمعوقات والإشكالات التي صاحبت البحث الأثري للفترات الوسيطة، حيث يجب أن تنظر الدراسات المستقبلية في أوجه الشبه والإختلاف والروابط الثقافية بين الممالك النوبية الثلاث وعلاقتها بمناطق كردفان ودارفور وشرقي السودان (إقليم البجة) خاصةً العلاقة بين مملكتي علوة والمقرة لما بينهما من اختلافات واضحة في التركيبة الإقتصادية والجغرافية، فهناك تباين واضح في الظواهر البيئية والمناخية والغطاء النباتي وخلافه، فبينما كانت المقرة محاطة بيئياً بحدود ضيقة، نجد أن علوة تتكون من أقاليم واسعة وممتدة تصلح للزراعة وتكثر فيها الأعشاب والنباتات. ونتيجةً لهذا التباين في مواردها الطبيعية الأساسية فقد حققت تقدماً كبيراً في المجال الزراعي والرعوي والإقتصادي، وتمتعت

بكثافة سكانية عالية مقارنةً بمملكة المقرة.

إن أولى الخطوات هي الضرورة المطلقة لنشر نتائج البحث الأثري بسرعة، لكنها ليست بحال بديلاً عن التقرير النهائي عن المواقع كاملة بتفصيل، حيث نجد أن الكثير من أعمال حملة اليونسكو بجانب النتائج النهائية للأعمال الأثرية بمنطقة الشلال الرابع لم تنشر بعد.

هنالك إشكالية منهجية بصورة عامة، مما حتم ضرورة القيام بأعمال تنقيب بحثية شاملة خاصةً المشاريع الوطنية من خلال رؤية متكاملة لدراسة الإنسان والبيئة والآثار والثقافة والشخصية، رغم أن هناك مشروعات وطنية تسير بخطى حثيثة في هذا المنحى، إضافةً إلى أن العديد من أعمال التنقيب البحثي في السودان هي أيضاً إلى حدٍ ما محكومة بالتهديد المباشر والتي تتعرض للخطر بفعل التوسع الزراعي والسيول والأمطار والانتهاكات السكنية، أو التدمير الناتج بفعل التنمية، وهذه أولى الأولويات لكي نحافظ على سلامة المواقع لغرض الأبحاث الأثرية في السودان بعمقها التاريخي وعاداتها وتقاليدها والتي من شأنها أن تزيل تلك المعوقات؛ وبالتالي، فهناك ضرورة ملحة للاستفادة من التاريخ الوسيط لحل قضايا المجتمع المعاصرة بوضع رؤية لإدارة التراث الثقافي في هذه الفترة.

د. أحمد حسين عبدالرحمن: قسم الآثار - جامعة الخرطوم - السودان.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

أبو سليم. محمد إبراهيم: الفونج والأرض. **وثائق تمليك**. شعبة أبحاث السودان. الخرطوم. ١٩٦٧م.

الجمل، شوقي: ١٩٦٧م، **تاريخ سودان وادي النيل**، القاهرة.

المعتصم، أحمد: ٢٠٠٢م، **مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج**، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

المعتصم، أحمد: ٢٠٠٢م، التاريخ الثقافي والحضاري لمنطقة التكاكي في الفترة ١٢٨٠-١٤٨٠م، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الاثار، كلية الاداب، جامعة الخرطوم.

المقريزي، تقي الدين احمد: ١٩٠٦م، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. الجزء الأول. باريس.

النور، أسامة عبدالرحمن: ٢٠٠٦م، **دراسات في تاريخ السودان**: نحو تأسيس علم الدراسات السودانوية، مركز عبدالكريم ميرغني، أمدرمان.

باز، كرم الصاوي: ٢٠٠٦م، **ممالك النوبة في العصر المملوكي**: اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م). القاهرة.

بركهاردت، جون لويس: ١٩٥٩م، **رحلات في بلاد النوبة**. ١٧٩٨-١٨١٧م. ترجمة فؤاد أندوراس. القاهرة.

حسن، يوسف فضل: ١٩٧٥م، **دراسات في تاريخ السودان**، ج١، الخرطوم.

شبيكة، مكي: ١٩٥٥م، **السودان عبر القرون**. بيروت. ط١.

شقير. نعوم: ١٩٠٣م، **تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته**. القاهرة.

عاشور، سعيد عبدالفتاح: ١٩٨٦م، **أوربا في العصور الوسطى**، مطبعة القاهرة.

عباس، جمال جعفر: ٢٠٠٧م، المدافن السودانية القديمة، مدافن جبانة الحراز لعصر ما بعد مروي - الشلال الرابع، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الآثار، جامعة الخرطوم.

عبدالرحمن، أحمد حسين: ٢٠٠٥م، الدلالات الآثارية للامتداد السياسي والديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، جامعة الخرطوم.

غيطاس، محمد: ١٩٨٧م، **حملة اليونسكو.. وأضواء جديدة علي تاريخ بلاد النوبة**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

فانتيني، جورج: ١٩٧٨م، **تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة**

والسودان الحديث، الخرطوم.

كروباتشيك، لوماتيف: ١٩٨٢م، (النوبة في نهاية القرن الثالث عشر حتى فتح الفونج بداية القرن السادس عشر)، **تاريخ إفريقيا العام**، المجلد الرابع، اليونسكو، ص ص ٣٩٨-٤٢٠.

مسعد، مصطفى محمد: ١٩٥٩م، (العرب والبجة في العصور الوسطى)، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، المجلد الأول، العدد الثاني، القاهرة، ص١-٥٠.

مسعد، مصطفي محمد: ١٩٦٠م، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة.

مسعد، مصطفي محمد: ١٩٧٢م، **المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى**، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم رقم (٤).

ميخالوفسكي، كرستوف: ١٩٨٨م، (انتشار المسيحية في النوبة)، **في تاريخ إفريقيا العام**. المجلد الثاني. اليونسكو، ص ٣٢٩-٣٤٣.

الوثائق

وثيقة بالرقم (Misc/1/15/191)، دار الوثائق المركزية الخرطوم.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Adams, W. Y. 1965. "Architectural Evolution of the Nubian Church 500-1400A. D", **Journal of the American Research Center in Egypt**, vol. 4. 87-134.

…… 1977. **Nubia corridor to Africa**, London.

…… 1986. **Ceramic Industries of Medieval Nubia**, 2 vols. Lexington.

…… 1987. **Islamic Archaeology in Nubia:** An Introductory Survey, In T, Hag (end,) Nubian Culture Past and Present, PP: 327-61, Leiden.

…… 1994. "Castle House of Late Medieval Nubia"**, Archēologie Du Nil Moyan**, vol. 6, pp. 11- 40. Nairobi.

Alvares, F. **The Prester John of the Indies**, 1521-1525, Cambridge.

Arkell. A. J. 1961. **A history of the Sudan from the earliest times to 1821**,University of London. Athlone press.

Budge, E. A. W. 1907. **The Egyptian Sudan, its History and Monuments**, 2vols. London.

…… 1909. **Nubian Text**, London.

Butcher, L. M. 1899. **Christianity in The Sudan. The Contemporary Review** 75: 854-68.

Cailliaud, F. 1825. **voyage A Meroë, au Fleuve Balanc (1820-1822)**, Paris.

Caneva. I. 1988. "Prospecting of the Fourth Cataract" **Nub let** 10. 1-9 (Hendricks. no. 1019.

Castiglioni , A. 1994. **Discovering Bernice Panchrysos: Interim Report on the Eastern Desert**, MSS.

Clarke, S. 1912. **Christian Antiquities in the Nile valley**, Oxford.

Crawford , O. G. S. 1954. (The Stone Tombs of the Sudan) , **Kush**, No. 2, PP: 86-87, Khartoum.

…… 1955. (Castles and Churches in the Middle Nile Region), **Sudan Antiquities Service Occasional papers**, No. 2, PP: 7-40, Khartoum

Crowfoot, J. 1927. The Christian Nubia. **Journal of Egyptian Archaeology**, Vol 13 26-33.

Cuoq J. 1989. **Islamisation de La Nubie Chretierme**, Publiee saus de direction de Dominique Saurdel et Junine Saurdel thomine.

De villard, M. 1935. **La Nubia Medioevale**, vol. I, Le Caire.

…… 1938: **Storia Della Nubia Christiana** , Roma.

Donadoni, S. 1970. "Les fouilles de L'eglise de Sonqi Tino", in: **Kunst und Geschichte Nubien in Christlicher Zeit**, 209 – 218 (Christophe1977, no. 201).

Edwards, D, & Osman, A., 2008. The Mahas Survey (Un Published report).

Eisa, K. A. 1971. The History and Antiquities Karaba Sherick Region, unpublished BA honors dissertation, Dept of History, University of Khartoum.

EL- Amin. M. Y. 1971. **The Middle Nile Region: Abidya to Karaba B. A** (Honours). Dissertation, History Department. Uof K.

EL-Amir. M. 1965. "Fouilles de L' Universite A Gebel Adda" in: **fouille en Nubie (1959-1961)** 35-38 (Christophe 1977, no. 217. Oriental 1965).

EL- Hafez. M. 1971. **Antiquities in the Rubatab Region** B. A (Honours), Dissertation History Department. Uof K.

Emery, W. B. &, Kirwan, P, L. 1938. **The Royal Tombs of Ballana and Qustul**, Cairo

Fuller. D. Q. 1998. "Paleoecology of the Wadi Muqaddam: a preliminary Report on the Significance of the Plant and the Animal Remains", **The**

Sudan Archaeological Research Society, N. 2. 52-60. London.

Hassan. Y. F. 1967. **The Arabs and the Sudan**, Edinburgh.

Haycock, P. 1972. (The History Department tours in the area from Abidya to Mograt), **Adab**, No. 1, P: 7- , Khartoum.

Holt. P. M. 1963. **A modern history of the Sudan**, London.

Jakobielski1, S. 1982. (Polish excavation at Old Dongola in 1976 –1978) **Nubian studies**, No. II, PP: 116-126, Warminster.

Jakobielski, S & Scholz, P. 2001. **Dongola – Studien 35 Jahre Polnischer Forschungen im Zentrum des makuritischen Reiches**, Warszawa, Wiesbaden.

Kirwan, P. L. 1955. "Notes on the Topography of the Christian Nubia Kingdom", **Journal of Egyptian Archaeology**, XXI, PP: 59-62, Cairo.

Leclant, J. 1990. Report a UNESCO **Archaeological mission to study the area of fourth cataract of the Nile** , Khartoum.

Mac Michael , H. A. 1922. A **history of the Arabs in the Sudan**, 2vols. Cambridge.

Milham, G. S. 1915. **Churches in lower Nubia**, Philadelphia.

Monenco. 1992. **Meroe Mult – Purpose Hydro Project**, Monenco Consultants Limited. Khartoum.

O`Fahey. R, S, & Spaulding. J. 1974. **Kingdoms of the Sudan**, London.

Osman, A. 1978. The Economy and Trade of Medieval Nubia, unpublished PhD, Dissertation, Cambridge University.

…… 1982. (Medieval Nubia Retrospect's and Introspects) in: **Paul van Morsel (New Discoveries in Nubia**, Proceeding of the colloquium on Nubian studies the Hag 1979, PP: 69-90, Leiden.

Paner , H. 1998. **The Hamdab dam Project**, Preliminary of the results formwork in the fourth cataract region.

Paul, A. 1954. **A History of the Beja Tribes of the Sudan**, Cambridge.

Pirouet, M. L. 1971. **Christianity in Nubia: a reassessment**, Social Science Council Conference 16: 1-29 University of East Africa.

Poncet, C. J. 1709. **A voyage to Ethiopia made in the year 1698-1699 and 1700**, London.

Reisner, G. A. 1919. **Sudan Notes and Records**, pt IV. Vo. 2. No. I, PP: 35- 67. Khartoum.

Shinnie , P. L. 1954a. "Excavation at Tangasi", **Kush 2**. PP: 66-85. Khartoum.

…… 1954b. **Medieval Nubia**, Sudan Antiquities Service (Museum Pamplet 2) Khartoum.

…… 1955. **Excavations at Soba**, Sudan Antiquities Service Occasional papers , No. 3, Khartoum.

…… 1964. "The University of Ghana Excavations at Debeira west", **Kush** vol. XII, PP: 196-208, Khartoum.

Shinnie. P. L & Chittick. H. 1961. "Ghazali, a Monastery in the Northern Sudan", **Sudan Antiquities Service Occasional papers**, No. 5, Khartoum.

Sid Ahmed, A. 1971. "Antiquities on Mograt Island". **Sudan Notes and Records**, 52. P. P 1-22

Soghayroun, I. 2004. **Islamic Archaeology in the Sudan**, BAR, S 1289 Cambridge.

…… 2008. "The Archaeological and Cultural Survey of the Northern Dongola Reach, West Bank, from el-Khandaq to Hannek. First Season's Report 2007". **The Sudan Archaeological Research Society**, No. 12. Pp. 74-78. London.

Spaulding, J. 1985. **The Heroic Age of Sennar**, African Studies Center. Michigan State University.

Taddesse. T. 1972. **Church and State in Ethiopia 1270- 1527**, Oxford.

Tahir. Y. F. 2010. The Archaeology and palaeoecology of Al Ga'ab Basin. 12th International Conference for Nubian Studies. 1-6August. The British Museum, (In press), London. UK.

Vantini, G. 1975. **Oriental Sources Concerning Nubia**, Heidelberg and Warsaw.

Waddington, G. and, Hun bury, B. 1822. **Journal of a visit to some parts of Ethiopia**, London.

Welsby, D. 2002. **The Medieval kingdoms of Nubia**, The British Museum, London.

…… 2003. **The Amri to Kirbekan Survey**: the 2002-2003 Season, S & N 7: 26-32.

Welsby, D &, Daniel, C. 1993. "Soba 2, Archaeological Research at a Medieval Capital on the Blue Nile", **British Institute in the east Africa**, PP: 13 42, Nairobi.

Zarroug. M. A . 1991. **The Kingdom of Alwa**, The University Calgary Press.